بسم الله الرحمن الرحيم

عدل الإسلام وعجز الرّأسماليّة، من عدلٍ ورخاء إلى ظلمٍ وحرمان

لقد كان الرّسول ﷺ وهو يدعو للخير أي للإسلام كان ينقض النّظام الجاهلي السّائد ويُظهر فساده. فهو إلى جانب دعوته لتوحيد الله وعبادته وحده وإلى ترك عبادة الأصنام، كان يُهاجم أيضاً النّظام الفاسد الّذي يعيشون عليه، ويُندّد بحياتهم الرّخيصة، وينعي عليهم وسائل عيشهم الظّالمة. فإلى جانب قوله عن ربّه ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ هاجم الرّبا الّذي يعيشون عليه مهاجمة عنيفة من أصوله، فنقل عن ربّه أيضاً ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ**﴾ كما توعّد الّذين يُطفّفون الكيل والميزان لقوله تعالى ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾.

فالإسلام هو دين الله الّذي أنزله للنّاس، وهو مبدأ عام لجميع شؤون الحياة، عالج مشاكل الإنسان ونظّم شؤون حياته كاملة، اقتصاديّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً وتعليميّاً... قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ وقال الرّسول ﷺ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحجّةُ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إلاَّ هَالِكٌ**».

لهذا يُعدُّ حمل النّظام الاقتصادي في الإسلام والدّعوة والدّعاية له، ولكلّ ما ينبثق عنه من سياسات، هو حملٌ لجانبٍ من الإسلام لا يقلّ أهمّيّة وخطورة عن الجوانب الأخرى، قال تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ لذلك ينبغي حمل النّظام الاقتصادي في الإسلام والدّعوة له بوصفه من جزئيات الدّين الّذي هو أمانة في الأعناق، وبوصفه هو وحده القادر على توفير حياة اقتصاديّة آمنة عادلة خالية من الأزمات، بل وفيه رعاية تُبعد وقوع المشاكل من البداية. فهو نظام ليس من وضع البشر كما هو حال باقي الأنظمة الوضعيّة (الاشتراكيّة والرّأسماليّة) بل هو من الله خالق البشر وخالق كلّ شيء، وهذه المقالة لن تسمح وبأسطر محدودة ذكر ما جاء في كتاب يزيد عن ٣٠٠ صفحة تحت عنوان "النظام الاقتصادي في الإسلام" للعالم الجليل "تقي الدين النبهاني" رحمه الله، والذي فيه تفصيل لسياسة الإسلام الاقتصاديّة وبيان كيف أنّ هذا النّظام كفل الحياة الكريمة للنّاس كافّة، المسلم وغير المسلم، ما يقارب ١٣ قرناً دون أزمات ومشاكل بل على العكس من ذلك، إلّا أنني سأكتفي بذكر هذه القصة على سبيل المثال وليس للحصر، كيف زادت الأموال بشكل فائق للحدّ في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حيث أمر والي العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن أن "أخرج للنّاس أعطياتهم"، فكتب إليه عبد الحَمِيد: إنّي قد أخرجتُ للنّاس أعطياتهم، وقد بقي في بيت المال مال". فأمره بأن يقضي ديون المعسّرين من بيت المال؛ إذ قال: "انظر كلّ من أدان في غير سفه، ولا سرف فاقض عنه". فكتب إليه: "إنّي قد قضيت عنهم، وبقي في بيت مال

المسلمين مال". فأمره أن يُزوّج المعسّرين من شباب وفتيات المسلمين، فقال: "انظر كلّ بكر ليس له مال فشاء أن تزوّجه فزوّجه، وأصدق عنه". فكتب إليه: "إنّي قد زوّجت كلّ من وجدت، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال". فأمر عُمر رحمه الله بأن تتم عملية التّسليف الزّراعي من بيت المال بصفته بنكاً للدولة، حيث يُقدم الأموال للمزارعين إذا ما أصابتهم نائبة أو ضائقة؛ فقال لواليه: "انظر من كانت عليه جزية فضعّف عن أرضه، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنّا لا نريدهم لعام ولا لعامين". لنخلص بأنّ النّظام الاقتصادي الإسلامي ليس هو البديل فحسب بل هو الأصيل الأصيل لأنّه أحكام أنزلها ربّ العالمين خالق البشر أجمعين، الّذي يعلم ما يصلح مخلوقاته ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾.

أمّا اليوم، وبعد أن فشلت الاشتراكيّة في توفير الحياة الاقتصاديّة الآمنة للنّاس، ها هو الفشل يلفّ عنق الرّأسماليّة الّتي غرقت في مستنقع الأزمات المتتالية على الرّغم من عقد المؤتمرات واستنفار جهود علمائها وخبرائها الاقتصاديين الّذين حصروا تفكيرهم في نظامين فاشلين فكان الفشل مصير كلّ معالجاتهم بل زادت المشاكل استفحالاً وتحوّلت إلى مشاكل تلفّ كلّ دول العالم دون استثناء.

فمنذ سيطرة النّظام الرّأسمالي يعيش العالم بأسره في ظلام هذا النّظام وذلك بعد أن عجز عن إيجاد حياة اقتصاديّة خالية من أزمات أنتجت الفقر والجوع والبطالة والتّشرد والعوز بنسب عالية وخطيرة، وذلك لعوامل عدّة أبرزها العولمة الاقتصاديّة. حيث سادت العولمة في العشرين سنة الأخيرة وقد كان لها الأثر الأكبر في امتداد الأزمات الاقتصاديّة الحاصلة، إذ أدّت عمليات دمج الاقتصاديّات المحليّة بالاقتصاد الدّولي الّتي تهيمن عليه أمريكا بسبب سيطرتها السياسيّة، إلى امتداد المشاكل الاقتصاديّة لكلّ دول العالم.

وإذا كان الكفّار لا يهتدون إلى الحق ولا يعقلون كما وصفهم الله تعالى ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ فما حجّة المسلمين اليوم الّذين يُعرضون عن كتاب الله وسنّة رسوله؟! وهو القائل سبحانه ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾.

كتبته لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

رنا مصطفى